"آما" و"فينايا كا"

للشاعر الهندي «طاغور»

بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيدي

(ميدان حرب قد أسبل عليه ظلام الليل الحالك أستاره . « آما » تلقى أباها « فينايا كا » ...)

* * *

آما — أبتِ !

فينايا كا — أيتها الفاجرة ! يا قليلة الحياء ... أتدعينني (أباكِ ؟) ... أنت التي لم تفرى من الزوج المسلم ... ؟

آما — ولو أنك اغتلت زوجي ، فأنت لا تزال أبي ؛ وإني لأحبس دمع ترمُّلي أن يحل غضب الله عليك ؛ وبما أنا قد التقينا في ميدان الحرب هذا بعد سِني الفرقة فدعني أنحنى على قدميك ثم أستأذن في الانصراف الأخير

فينايا كا — وإلى أين تذهبين يا (آما) ؟ . إن الشجرة التي بنيْت عشك الأثيم عليها قد تجدعت ، فإلى أين ستلجئين ؟

آما — إن لي ولداً

فينايا كا — انبذيه ! لا تلقي نظرة حب على ثمرة خطيئة كفِّري عنها بالدم ففكري إلى أين ستذهبين ؟

آما — إن أبواب الموت المفتحة لأوسع على من حب الوالد

فينايا كا — إن الموت ليمحو الذنوب بابتلاعها .

حقًّا ... مثلُه في ذلك مثل البحر حين يغيب فيه غِرِّين الأنهار . ولكنك لن تموتي هذه الليلة في هذا المكان . إبحثي لك عن مرقد قد طهره (شيفا) ناء عن كل الأهل المصطنعين بعيد عن الجيرة ، ثم اسبحي في (الكنج) القدس ثلاثاً في اليوم . هنالك تطرق أذنيك — وأنت ترتلين اسم الله — آخر دقات جرس المساء ؛ فلعل ذلك الموت وحده ينظر إليك بعين العطف نظرة الأب إلى طفله النائم ما تزال عيناه رطبة بالدموع ! دعيه يحملك في صمته الفسيحة كما يحمل (الكنج) زهرة ساقطة في مجراه فيغسلها مما يعلق بها من أدران ليرفعها إلى البحر هدية سنية !

آما — ولكن ولدي ...

فينايا كا — إني آمرك ثانية ألا تذكريه ببنت شفة ! وألقي بنفسك تارة أخرى بين ذراعي الوالد يا بُنيَّتي مثل وليد حديث عهد برَحم (النسيان) أمك الثانية

آما — لقد أصبح العالم عندي خيالاً . إني أسمع كلماتك ولكني ما أستطيع أن أدخلها قلبي ، فغادرني أيها الأب . . . أتركني وحدي . . . لا تحاول أن تمسكني بروابط حبك ، فإن روابطه هذه قد حمَّرتها دماء زوجي !

فينايا كا — واحسرتاه ! إن الزهرة التي تسقط من غصنها لا ترجع إليه أبداً ! كيف تستطيعين تسميته (زوجاً) ، وهو إنما اختطفك قسراً من (جيفا كي) خطيبك الشرعي ؟ لن تبرح تلك الليلة

مخيلتى . لقد كنا جلوساً فى حفلة العرس نرتقب مطلع العروس (الزوج) علينا بشوق منتظرين دنو ساعة السعد تلك ، وإنا لفى هذا إذ ظهر لنا من بعيد تألق المشاعل ، وسمعنا جلبة الزفاف تملأ الفضاء فعلت منا الأصوات ابتهاجاً ، وتجاوبت رنّات المزمار من أيدى النسوة فرحاً . ثم إن موكباً من المحفات دخل عرصة الدار ، ولكن بيننا كان بعضنا يسائل بعضاً قائلين أين (جيفا كى) إذ باغتنا رجال مسلّحون من تلك المحفّات كالزوبعة وانتزعوك من بيننا قبل أن نفهم شيئاً عن حقيقة الحال . ثم قدم (جيفا كى) ليخبرنا بما كان من أمره مع أحد نبلاء المسلمين من بلاط (فيجاپور) الذى كان قطع الطريق وألقى عليه القبض ... فى تلك الليلة ذاتها أقسمنا ــ أنا و (جيفا كى) ــ بنار الزواج المقدسة أن تكون لذلك الوغد منا الموتة الحمراء !

وبعد الانتظار الطويل نتحرر اليوم من عهدنا الأقدس هذه الليلة وأن روح (جيفا كى) الذى استشهد فى الميدان لتطلبنّك زوجاً شرعية له

آما — أبت ، ربما أكون خارجة على شعائر بيتك ولكنى ما أزال طاهرة الذيل ، نقية الجيب . لقد أحببته فولدت له ابناً ، وما زلت أذكر تلك الليلة التى استلمت فيها رسالتين سريتين إحداهما منك والأخرى من أمى وقد جاء فى رسالتك هذا : (إنى مرسل لك المدية فاقتليه !) وجاء فى رسالة أمى قولها : (إنى أبعث لك السم لإنهاء حياتك !) ولو كانت القوة الرّجسة قد عبثت بى لأطعت أمركما على وجهيه ، ولكن جسمى ما كان يخضع إلا لداعى الحب ، الحب الذى هو أعظم من كل شىء وأطهر من كل شىء ، حتى أنه تغلب على نفرة دمنا الموروثة من المسلم !

(تدخل « راما » أم « آما »)

آما — أماه ! ما كنت أحسبنى أن سأراك ثانية ! دعينى أُعَفِّرْ وجهى فى تراب قدميك

راما — لا تمسسنى يداك النجستان

آما — إننى فى مثل طهرك

راما — لمن أسلمت شرفك ؟

آما — لزوجى

راما — (زوجك) ؟ أمسلم زوج برهمية ؟

آما — ليس من حق أن تهزئى بى ، وإنى لفخور بأن أقول إنى ما امتهنت زوجى ، ولو أنه كان من المسلمين . إن الفردوس التى وُعِدْتِها على ولائك لزوجك ستنتظر ابنتك التى كانت زوجة حقاً .

راما — أأنت زوج حقاً ؟

آما — أجل !

راما — فهل تدرين كيف تموتين بعزم وإقدام ؟

آما — أجل أعرف

راما — إذاً فلتوقد لك « نار الإحراق » أنظرى هنالك يثوى جثمان زوجك

آما — جيفا كى ؟

راما — أجل جيفا كى ، لقد كان زوجك تربطك به أقدس العهود وأقواها . إن نيران الزواج المخمدة قد أضرمها الله اليوم فى هيئة نار الموت الجائعة ؛ وأن حفلة العرس المعطلة ستستأنف الآن

فينايا كا — لا تصغى إلى شىء من ذلك ياولدى ،

بل عودى إلى ابنك .. إلى عشك الذى خيمت عليه الأحزان . إن واجبي قد أنجز فى نهاية القسوة ولم يبق لك من شيء تصنعين . وأنت أيتها الزوج إن الكمد لا يغنى شيئاً . فلو أن الغضن الذى انتزع من نبتتنا قسراً قد ذوى لكنت أطعمته النيران ، غير أنه قد ينشر عروق الحياة فى تربة جديدة فهو ينتج الثمر ويخرج الزهر . دعيها ـ غير نادمة ـ تطع قوانين من كان فيهم حبها . وهلم ـ أيتها الزوج ـ فقد حان الوقت لنفصم كل علاقاتنا بالعالم ، ونمضى الباقى من عمرنا فى عزلة معبد حجاج آمين

راما — إنى مستعدة . غير أن علينا أن نسحق فى التراب كل نابتة من ذنب أو عار مما جاء من أرض حياتنا . إن عار البنت يزرى بشرف أمها . . . إن العار المنكر سيسمم النار المتقدة فى هذه الليلة ويبعث ذكر امرأة صادقة ترف فوق رماد ابنتى

آما — إنك حين توحدين بينى وبين شخص غريب لم يكن زوجى بالموت ستستنزلين عليك اللعنة بتدنيسك حرمة إلهه الموت الأبدى

راما — أضرموا النار أيها الجند ، أحيطوا بالفتاة

آما — أبتاه !

فينايا كا — لا تخافى ؛ واحسرتاه يا بُنيّتى ! على أنك تستنجدين أباك لينقذك من يدى أمك !

آما — أبتاه !

فينايا كا — تعالى إلى يا ولدى الحبيبة ، فهذه الشرائع التى ترين ليست سوى نتاج عنجهية الإنسان تتلاطم تلاطم الأمواج على صخرة الغرض السماوى ، فحب الأب يشبه من ما الله . إنه لا يبدى حكما وإنما يتدفق من معين لا ينضب ! هات ابنك عندى وسنحيا سوية يا ابنتى

راما — إلى أين تذهبين ؟ عودى ! أيها الجند اثبتوا فى إخلاصكم لسيدكم (جيفاكى) وقوموا بآخر واجب مقدس له عليكم .

آما — أبتاه !

فينايا كا — أطلقوها أيها الجند فإنها ابنتى .

الجند — إنها أرملة سيدنا .

فينايا كا — إن زوجها وإن كان مسلماً غير أنه كان صلباً فى عقيدته .

راما — أيها الجند راقبوا هذا الشيخ .

آما — أتحداك يا أمى وأتحداكم أيها الجند ! لأننى سأنال حريتى بفضل الموت والحب ! ...

فتحى شهاب الدهبى

ظهر حديثاً

فرعون الصغير

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ

محمود تيمور

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة

وثمن النسخة ٨ قروش